أرسل إلى علي بالمصحف، فإنّه لا يأبى عليك. فجاء رجل على فرس بالمصحف، فقال: ندعوكم إلى كتاب ا بيننا وبينكم، فقال علي (عليه السلام): «نحن أولى بكتاب ا منكم». ومال أكثر الناس إلى الموادعة. وجاءت الخوارج - ونحن نسمّيهم يومئذ: القرّاء - وأسيافهم على عواتقهم، فقالوا: يا أمير المؤمنين، أتمنعنا أن نسير بأسيافنا إلى هؤلاء، فنقتلهم بحكم ا بيننا وبينهم؟! فقام سهل بن حنيف، فقال: يا هؤلاء القوم، اتّهموا أنفسكم، فإنّا قد كنّا مع رسول ا (صلى ا عليه وآله) يوم الحديبية، ولو نرى قتالاً لقاتلنا. فجاء عمر، فقال: يا رسول ا، ألسنا على الحقّ وهم على الباطل؟ قال: «بلى». قال: أوَ ليس قتلانا في الجنّة وقتلاهم في النار ؟ قال: «بلى». قال: فعلامَ نعطي الدنيئة في ديننا، ونرجع لما يحكم ا بيننا وبينهم؟ فقال له رسول ا (صلى ا عليه وآله):« يا بن الخطّاب، إنّي رسول ا، ولن يضيّعني ا». فانطلق عمر وهو مغضب، فأتى أبا بكر، فقال له مثل ذلك. فقال له أبو بكر: إنّه رسول ا، ولن يضيّعه ا أبداً. فأُنزلت سورة الفتح، فأرسل إلى عمر، فقرأها عليه من أوّلها إلى آخرها. فقال عمر: أفتح هو يا رسول ا ؟ قال: «نعم». ثمّ قال سهل للخوارج: إنّ هذا فتح. فوضعت الحرب أوزارها بحكم الحكمين، ورجع علي (عليه السلام) إلى الكوفة، وفارقته الخوارج، ونزلوا حروراء، وهم تسعة عشر ألفاً، فأرسل علي (عليه السلام) إليهم، فناشدهم ا:« ما الذي نقمتم عليّ، أفي فيء قسمته، أم في حكم» ؟ وأتاهم صعصعة بن صوحان العبدي، فناشدهم ا أن يرجعوا، فأبوا. فقال لهم: ما الذي نقمتم؟ فقالوا: نخاف أن ندخل في فتنة. فقال: لا تعجلوا ضلالة العام مخافة فتنة قابل. قالوا: نكون على ناحيتنا، فإن قبل القضية قاتلناه على ما قاتلنا عليه أهل الشام يوم صفّين، فإن نقضها قاتلنا معه. فساروا حتّى قطعوا النهروان، وافترقت منهم فرقة يقتلون الناس. فقال أصحابهم: ما على هذا فارقنا علياً (عليه السلام)، فلمّا بلغ علياً (عليه السلام) صنيعهم قام، فقال:« تسيرون إلى عدوّكم، أو ترجعون إلى هؤلاء الذين خلفكم في دياركم»؟ قالوا: بل